ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

Intonation and its effect on guiding meaning in the interpretation of "In the Shade of the Qur'an

Asst. Lect. Marwa Hawi Ati Al-Abidi

University of Wasit / College of Arts / Department of Translation, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Intonation, Semantics, Semantic Guidance, In the Shade of the Quran

***Correspondence author*:**

marwa141@uowasit.edu.iq

Received: 24 **May** 2026
Revised: 06 **October** 2026
Accepted: 07 **October** 2026
Published: 25 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**

Al-Abidi, M. H. A. (2026). Intonation and its effect on guiding meaning in the interpretation of "In the Shade of the Qur'an". *Wasit Journal for Human Sciences*, *22*(4/Pt2). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt2.2028

ABSTRACT

This research examines the phenomenon of intonation in determining meaning in the Holy Quran, specifically within the framework of the commentary "In the Shade of the Quran." The Holy Quran relies on rhythmic sound and melodic harmony, which align with its meanings. Therefore, studying intonation is a crucial linguistic phenomenon, particularly in the study of phonetics. It holds significant importance in linguistic studies, as language is a powerful means of expressing and conveying the speaker's feelings and emotions. Intonation serves as a vehicle for conveying meaning within the Quranic text, connecting it to semantics. It contributes to clarifying and understanding the intended meaning, shifting the meaning of words from one to another depending on the context, vocal performance, and variations in pitch (height, lowness, pauses, and continuation). The research employs a descriptive-analytical approach to uncover the impact of intonation on guiding semantics and highlighting meanings in Quranic exegesis.

.

مظاهر التنغيم وأثره في توجيه الدلالة في تفسير ظلال القرآن

م.م مروة حاوي عاتي العابدي
جامعة واسط، كلية الآداب، قسم الترجمة

المُستخلص

يتناول هذا البحث ظاهرة التنغيم في تحديد المعنى في القرآن الكريم، في تفسير ظلال القرآن لأن القرآن الكريم يعتمد على الايقاع الصوتي والتناسق النغمي، الذي ينسجم مع المعاني، ولذلك دراسة هذه ظاهرة التنغيم تعد من أهم الظواهر اللغوية إلى دراسة الجانب الصوتي ولها أهمية بالغة في الدرس اللغوي كون اللغة عبارة عن معاني مؤثرة للتعبير عن نقل مشاعر وانفعالات المتكلم لكونها وسيلة لإيصال المعاني داخل النص القرآني، من خلال ارتباطه بالدلالة لأنها تسهم في توضيح وفهم المعنى المقصود أي ينقل الكلام من معنى إلى معنى آخر تبعاً للسياق والأداء الصوتي والتنوع في نبرت الصوت ارتفاعه وانخفاضه، والوقف، والوصل، وكما اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن أثر التنغيم في توجيه الدلالة وإبراز المعاني في التفسير القرآني.

الكلمات المفتاحية: التنغيم، الدلالة، التوجيه الدلالي، ظلال القرآن

المقدمة

تُعد ظاهرة التنغيم من أبرز الظواهر الصوتية التي لها دوراً كبيرا في توجيه الدلالة وإبراز المعاني، وهي تعد فكرة أصيلة للتحليل اللغوي ، ولا يقتصر الكلام على التراكيب والألفاظ فحسب وانما تعتمد على الأداء الصوتي المصاحب له، بما يحمله من تنوع في الإيقاع، وارتفاع وانخفاض في نبرة الصوت أي طبقات الصوت، ليجعل التنغيم عنصراً اساسياً في التحليل الصوتي والدلالي، لما له من أثر بالغ في فهم الكلام وتحديد مقاصده، ويظهر فيه جمال اللغة، ولذا فقد حظي القرآن الكريم بعناية واسعة من الدارسين وعلماء اللغة قديماً وحديثاً لما يحتويه من خصائص صوتية ودلالية تؤثر في المتلقي وتوجيه المعنى، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في تفسير الآيات، وذلك لملاءمته طبيعة الموضوع؛ إذ يقوم على وصف الظاهرة الصوتية في تفسير الظلال، ثم تحليلها لبيان أثرها في توجيه الدلالة، حيث سار البحث على الاستقراء إذ قام البحث باستقراء تفسير الظلال استقراءً أولياً شمل الأجزاء الثلاثين، وذلك لرصد المواضع التي يتحدث فيها سيد قطب عن الظواهر الصوتية، حيث اعتمد البحث في هذا الرصد على مفاتيح لفظية محددة، هي: "الإيقاع"، "الجرس"، "النغم"، "الموسيقى"، "النبرة"، "الوقع"، "الفواصل"، "الجرس الصوتي"، والحصر بعد الاستقراء، قام البحث بحصر المواضع التي وقف فيها سيد قطب على الظاهرة الصوتية بصورة صريحة، توزعت على مختلف أجزاء التفسير، وكما صنّف البحث هذه المواضع في ثلاثة مظاهر رئيسة: التنغيم الاستفهامي التنغيم الوقفي والوصولي، التنغيم التصويري، وحلّل البحث النماذج المختارة وفق ثلاثة مستويات: المستوى الصوتي، والمستوى الدلالي، والمستوى النفسي والجمالي.

ومن أبرز التفاسير التي أولت الجانب الإيقاعي والصوتي عناية واضحة هو تفسير ظلال القرآن إذ اعتمد على الوجدان الأدبي والتصوير الفني في إبراز أثر النغم القرآني في توجيه الدلالة، وربط بين الإيقاع الصوتي والمعنى التعبيري للآيات، ولذا فقد تنوعت مظاهر التنغيم في الظلال بين التنغيم الاستفهامي، والوقف والوصل، والتصويري مما أسهم في تعميق الدلالة والكشف عن المعاني العميقة في الخطاب القرآني لأنه التنغيم هو أداة فاعلة في فهم النص القرآني.

مستويات التحليل في دراسة التنغيم

تقوم دراسة التنغيم في النص القرآني على ثلاثة مستويات متمايزة، لكل منها أدواته ومفاهيمه الخاصة، ولا يصح الخلط بينها:

الأول: المستوى الصوتي: يهتم بدراسة التنغيم بوصفه ظاهرة صوتية خالصة، مركزاً على ارتفاع النغمة وانخفاضها، والمنحنى النغمي للجملة، والنبر المصاحب، والإيقاع الصوتي.

الثاني: المستوى الدلالي: ويُعنى بدراسة أثر التنغيم في توجيه المعنى، من حيث نقل الجملة من دلالة إلى أخرى، وتحديد نوع الجملة، وإزالة اللبس في المعنى.

الثالث: المستوى النفسي والجمالي: ويُعنى بدراسة الأثر الوجداني للتنغيم في المتلقي، من حيث التأثير في المشاعر والانفعالات، وإحداث التأمل والتدبر، والإيحاء النفسي والجمالي.

إن الدراسة الحالية تنطلق من المستوى الصوتي (التنغيم)، لتبحث في أثره على المستوى الدلالي (توجيه المعنى)، ثم تنتهي إلى رصد انعكاسه على المستوى النفسي والجمالي (الأثر الوجداني)، حيث حرص البحث على التمييز بين هذه المستويات في كل نموذج تطبيقي، وذلك لضبط المنهجية وتجنب الخلط بين الظاهرة الصوتية وأثرها الدلالي وانعكاسها النفسي.

آلية إثبات التنغيم في البحث

لا يكفي في الدراسة العلمية أن ندّعي وجود ظاهرة صوتية، انما لا بد من بيان الآلية التي نكشف بها عنها، ولما كان التنغيم ظاهرة صوتية أدائية لا تظهر في الكتابة، فإن إثباتها في النص القرآني يتطلب إلى وسائل منهجية دقيقة، حيث اعتمد البحث في إثبات التنغيم على الآليات التالية:

أولاً: الدليل النصي

يظهر في النصوص الصريحة التي يتحدث فيها سيد قطب عن الظواهر الصوتية في تفسير الظلال، من مثل قوله: "الإيقاع"، "الجرس"، "النغم"، "الموسيقى"، "النبرة"، "الوقع"، وهذه الألفاظ هي مفاتيح الكشف عن الظاهرة الصوتية في تفسيره، حيث حرص البحث على جمع هذه المواضع وحصرها، إذ إن هذه الألفاظ تمثل الإشارات الصريحة التي تدل على وعي سيد قطب بالظاهرة الصوتية وتوظيفه لها في توجيه الدلالة.

وقد أدرك الدارسون المحدثون أن الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم هي أول ما لفت انتباه العرب، إذ يذهب عبد العظيم الزرقاني إلى أن "هذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسنه الآذان العربية أيام نزول القرآن" (الزرقاني، ١٩٩٥، ج٢، ص. ٦٨)، وهذا ما يجعل من عبارات سيد قطب في الظلال مادة خصبة لاستقراء الظاهرة الصوتية.

ثانياً: الدليل التحليلي

ويتمثل في تحليل البنية الصوتية للآيات التي وقف عليها سيد قطب، ويعتمد هذا التحليل على رصد الظواهر الصوتية في الآية من مدّ وسكون وتشديد وتنوين، واظهار تتابع هذه الظواهر في الفاصلة، ثم استنتاج النمط الصوتي العام: هل هو إيقاع متصل أم متقطع؟ صاعد أم هابط؟

ويستند هذا الدليل إلى ما قرره علماء الأصوات من أن التنغيم "ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام نتيجة لدرجة توتر الأوتار الصوتية مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي، ولا يقتصر على الكلمة الواحدة، انما يتجاوزها إلى التركيب" (حسان، ١٩٩٠، ص. ١٩٠) وقد سماه إبراهيم أنيس "موسيقى الكلام" (أنيس، د.ت، ص. ١٠٣) وهذا يعني أن تحليل البنية الصوتية للآيات يمكن أن يكشف عن أنماط تنغيميه دالة، كالتمييز بين الجملة التقريرية والاستفهامية، وهو ما أشار إليه اللغويون المحدثون بقولهم: "التنغيم يقوم بوظيفة تمييزية واضحة بين الجملة التقريرية والجملة الاستفهامية والجملة المنفية" (ليلى سهل، ٢٠١٠، ص. ١٠).

ثالثاً: الدليل المقارن

ويتمثل في مقارنة المواضع التي تحدث فيها سيد قطب عن الظاهرة الصوتية بغيرها من المواضع التي لم يتحدث فيها عنها، فإذا كان الموضع الذي تحدث فيه عن الإيقاع أكثر تأثيراً في المعنى من غيره، كان ذلك دليلاً على وجود الظاهرة، وهذا المنهج يجد سنداً في الدراسات الصوتية الحديثة التي تؤكد أن "التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة" (حسان، ١٩٩٤، ص. ٢٢٦)، مما يسمح بمقارنة المواضع المختلفة من حيث درجة التوظيف الدلالي للظاهرة الصوتية.

رابعاً: الدليل الدلالي

ويتمثل في ربط الظاهرة الصوتية بالمعنى، فإذا كان الإيقاع متوافقاً مع الدلالة (كأن يكون الإيقاع ثقيلاً في مقام التهويل، وسريعاً في مقام التهديد)، كان ذلك دليلاً على وجود التنغيم الدلالي، وهذا ما أدركه القدامى حين تحدثوا عن "اللحن" بمعنى جرس الكلام وحسن الصوت، إذ "قال فلان ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء" (ابن منظور، د.ت، ص. ٤٤٩٠)،كما أشار الفارابي إلى أن من فصول النغم ما "تسير به دالة على انفعالات النفس، والانفعالات عوارض النفس مثل الرحمة والقسوة والحزن والخوف والطرب والغضب واللذة والأذى" (الفارابي، د.ت، ص. ٤٥)، وهذا يثبت أن الصوت يحمل دلالة انفعالية يمكن رصدها وتحليلها.

خامساً: حدود البحث في الإثبات

ولا بد من الإشارة إلى أن البحث لم يعتمد على الوسائل المختبرية (كالتحليل الطيفي والرسوم النغمية الإلكترونية)؛ لأنها تحتاج إلى أدوات مخبرية وتسجيلات صوتية، وهي غير متوفرة في نطاق هذه الدراسة، وإنما اعتمد على الدلائل النصية والتحليلية والدلالية، وهي كافية لتحقيق هدف البحث في الكشف عن الظاهرة في تفسير الظلال.

حيث أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن "التنغيم جزء من النظام النحوي العربي، لا مبحثاً من محسنات البديع اللفظية" (جمعة، ٢٠٢٤، ص. ١٧٣٢)، وأن إدراجه ضمن خطة تعلم العربية أمر حاسم في "ضبط النطق، وتمييز المعاني وتفسيرها، في الجمل المتماثلة تركيبياً" (جمعة، ٢٠٢٤، ص. ١٧٣٢) وهذا يؤكد أن دراسة التنغيم في النص القرآني ليست ترفاً منهجياً، بل ضرورة لفهم المعنى القرآني.

حيث اعتمد البحث في تحليله على المنهج الوصفي التحليلي، مستفيداً من الدراسات الصوتية الحديثة التي وفرت إطاراً نظرياً لدراسة الظواهر الصوتية في النص القرآني، مع الاستناد إلى نصوص سيد قطب في تفسير الظلال باعتبارها المادة الأساسية للدراسة.

سيد قطب في تفسير ظلال القرآن:

حياته:

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في مصر في التاسع من اكتوبر سنة ١٩٠٦م بقرية (موشة)إحدى قرى محافظة أسيوط، عاش طفولته وصباه في قريته، وتلقى فيها دراسته الابتدائية وهو من أصل هندي. (الخالدي، ١٩٩٤، ص.١٥)

عاش مع خاله في القاهرة، حتى فكر في لقاء عباس العقاد (الشاعر، د.ت، ص.٨٤)

من مؤلفاته.. منها مهمة الشعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر، ومن أول مؤلفات سيّد قطب في النقد الأدبي، الشاطئ المجهول أول وآخر ديوان شعري له، طُبع مرّة واحدة فقط، نقد كُتاب مستقبل الكتابة في مصر ألّفه سيّد ردًا على طه حسين في ادّعائه بأن مصر جزء من الحضارة الغربيّة، التصوير الفني في القرآن أول كتاب إسلامي له، يُبيّن فيه أسلوب التصوير الفني في القرآن واستخداماته، الأطياف الأربعة كتاب يسجّل فيه سيّد بعض تأملاته ومقالاته ذات السمة الشعوريّة، طفل من القرية سيرة ذاتيّة لسيّد، يسجل فيها تفاصيل حياته في قريته موشة، وحياة أسرته ووضعها الاجتماعي والاقتصادي. (هاشم، ٢٠٢٣، ص.١)

ويُعد كتابُه في ظلال القرآن من أشهر مؤلفات سيد قطب، وأكثرها حضوراً في الدراسات القرآنية، هو تفسير كامل للقرآن أصدره في ٣٠ جزءاً بعدد أجزاء القرآن، وسجّل فيه أفكاره وتصوّره للإسلام والدعوة والحركة والتغيير وقال عنه الأستاذ محمد قطب "الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله..."(الخالدي، ١٩٩٤، ص. ٥٤٤)

التنغيم لغة:

ورد (النغم) في معجم لسان العرب بمعنى جرس الكلمة وحسنُ الصوت في القراءة وغيرها، وهو حَسنُ النغمة والجمع نغمة. (ابن منظور، د.ت، ص. ٤٤٩٠)

النغم في القاموس المحيط هو "النغمُ، محركة، وتسكن: الكلام الخفي، الواحدةُ: بها ونغم في الغناءِ، كضرب ونصرَ وسمعَ، وتنعم ونغم في الشرابِ، كنغبَ والنغمةُ، بالضم: الجرعة، ... وقد نغم نفساً". (الفيروز آبادي، ٢٠٠٩، ص.١٣٠١)

التنغيم اصطلاح:

عرف اللسانين المعاصرين التنغيم بـ هو ارتفاع وانخفاض الصوت اثناء الكلام. (حسان، ١٩٩٠، ص. ١٩٠)

يُعرف بأنه: عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية والايقاعات في حدث كلامي معين. (ماري وباي، ١٩٩٨، ص. ٩٣)

التنغيم الصوتي:

قد عرف سعران التنغيم هو "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) و(الانخفاض) و(الهبوط)،وهذا التغير في الدرجة يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية، ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، يدل على لحن". (السعران، ١٩٩٧، ص ص. ١٥٩- ١٦٠)

الدلالة الصوتية:

يقصد بها هي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات، أي إن الكثير من الكلمات تختلف دلالتها باختلاف اصواتها لأنه الكلمة إذ اضيف إليها صوت او حذف منها صوت سوف يختلف معناها (أنيس، ١٩٧٦، ص. ٤٦).

ينظر كذلك مثال: كلمة (النضخ، والنضح) كلاهما لسيلان الماء الأول فيه الماء قوي فتناسبه الخاء الغليظة والثاني فيه الماء ضعيف فتناسبه الحاء الرقيقة. (عوض، ٢٠٠٥، ص.٣٠)

التنغيم وأهميته:

إن ما يمتلكه العربي من حسّ مرهف في تذوق اللغة وإدراك جماليتها، يجعلنا نقول إن للتنغيم في القرآن الكريم دوراً كبيراً في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة واستقبال ما جاء به من معان سامية (البياتي، ٢٠٠٧، ص.٧).

إن التنغيم في القرآن يقع في مقدمة ما جذب العرب إلى القرآن، ولذلك عد الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب التجويد والترتيل الإيقاعي من مظاهر الإعجاز الموسيقي في القرآن الكريم (الرافعي، ١٩٥٣، ج٢، ص. ٢٢٢)

يرى محمود السعران إن المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام، وهذا التغير في الدرجة يرجع على التغير في نسبة ذبذبة الاوتار الصوتية، وهذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية، ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، يدل على لحن الكلام ولكل لغة عادتها التنغيمية أو لحونها (السعران، د.ت، ص ص. ١٩٢-١٩٣).

للتنغيم وظيفية على معاني الجمل في صلاحي نحو (نعم، يا سلام، الله ... الخ) ولا يفرق بينها إلا التنغيم الذي لا يمكن ابرازه إلا بتضافر مع القرائن الحالية لحركة اليد وملامح الوجه مع انقباض أو انبساط وخلافه، فجملة (يا سلام) قد تدل على التهويل أو التحقير أو التأثير أو الشك أو السخرية أو غير ذلك، وبذلك يزال أي لبس في الكلام. (ليلى، ٢٠١٠، ص ص. ٩-١٠)

التنغيم وأثره في توجيه الدلالة:

يعد التنغيم من الظواهر الصوتية المهمة التي لها أثر كبير في الدلالة إذ يساعد في تحديد المعنى وهي من الظواهر المرافقة للتراكيب، وتساعد على فهم معنى الكلام ففي اللغة العربية أسلوبان ينقلان الجملة من دلالة إلى أخرى، وهما اساسيان للتعبير، أحدهما التنغيم ولا يكون إلا في الأداء الصوتي، والآخر: الترقيم ويظهر في الكتابة فنحن عندما نقول جملة، نقولها بأداء معين، وبتنغيم معين يحدد دلالتها، ولا يستطيع السامع أن يعرف أنه سمع إخباراً، أو استفهاماً أو تعجباً، أو استنكاراً وغيرها. (محمد، ٢٠١٣، ص ص. ١٥٧-١٥٨)

قد يؤدي التنغيم في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أن التنغيم أوضح وأكثر دقة من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة والدلالة عليه، وذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات صوتية أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وغيرها. (حسان، ١٩٩٤، ص ص. ٢٢٦-٢٢٧)

يعد تطور اللغات في جانبها الصوتي أكثر تنوعاً وأسرع من تطورها في جوانب الصيغ والنحو والمفردات والأساليب لأنه الجانب المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب، إلى أن اللغة تصادف في تركيباتها وتجمعاتها الصوتية ظروفاً سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب وخير دليل على هذا ما نشاهده في كثير من اللغات من مخالفة النطق للكتابة، مما يعنى في بعض أمثلته تطور النطق وبقاء الهجاء القديم. (عمر، ١٩٩٧، ص. ٣٦٩)

إن الأصوات والفونولوجيا والنحو تدرس من منظورين مختلفين الأول هو الوصفي الثابت وهو يهتم بدراسة المعنى من خلال تحليل دلالات الألفاظ والتراكيب في لغة معينة، والثاني هو التاريخي المتطور فيدرس معاني الكلام في لغة من اللغات في فترة من فترات استعمالها في مكان محدود تغير معاني الكلام في لغة من اللغات من عصر إلى عصر. (سعران، د.ت، ص.٢٦١)

يعد التنغيم هو أحد العناصر الصوتية الفعالة التي تؤدي وظائف دلالية وتركيبية إنجازيه من الإيقاع الصوتي المصاحب لعملية الأداء والنطق، الأمر الذي يسهم في تحقيق التواصل الدلالي المطلوب في النصوص، ويتجاوز أثر التنغيم البُعد الصوتي المباشر ليسهم في تعزيز الخطاب". (علوان، ٢٠٢٦، ص. ٣٩٦)

يقوم التنغيم بدور كبير على المستوى الدلالي للغات عديدة ومنها اللغة العربية، وإما عن جذور هذه القرينة في البحث اللغوي القديم فتثير هذه المسألة خلافاً كبيراً بين اللغويين المحدثين، إذا اختلفت آراؤهم إلى فريقين فذهب فريق منهم أن القدماء لم يسجلوا شيئاً يذكر، ويجزم الدكتور تمام حسان بأن التنغيم في التراث العربي غير مسجل ولا مدروس، وفي الوقت الحاضر تخضع دراستنا لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية (جمعة،٢٠٢٤، ص ص. ١٧٣٢-١٧٣٣).

التنغيم عند القدامى:

لم يتناول القدامى "التنغيم" بمصطلحه الحديث، الا انهم تناولوا ما يقاربه من الظواهر الصوتية التي تؤدي وظيفة دلالية، كالنغم واللحن والجرس والإيقاع، حيث أشاروا إليها في مباحث متفرقة من كتبهم، ونستطيع أن نتبين عندهم ثلاثة اتجاهات رئيسة: اتجاه صوتي فيزيولوجي، واتجاه دلالي، واتجاه تعبيري نفسي.

وقد أدرك الدارسون المحدثون أن "التنغيم جزء من النظام النحوي العربي، لا مبحثاً من محسنات البديع اللفظية"، وأن إدراك القدامى لهذه الظاهرة يمثل أصلاً متيناً للدرس الصوتي العربي.

أولاً: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)

يُعد الخليل أول من وضع أساس الدرس الصوتي العربي، وقد أدرك أن للصوت وظيفة دلالية تتجاوز مجرد النطق، ومن مظاهر إدراكه للظاهرة الصوتية:

١- **اختياره "العين" أول كتابه:** لم يبدأ كتابه بالحروف الأبجدية، انما اختار العين لأنها "أدخل الحروف في الحلق" (الفراهيدي، كتاب العين، ص. ١٠)، وهذا يعني أنه راعى في ترتيبه الجهاز الصوتي، وهذا وعي مبكر بأن الصوت ظاهرة فيزيولوجية.

٢- **إدراكه لعلاقة الصوت بالمعنى:** أشار الخليل إلى أن بعض الأصوات تناسب بعض المعاني، كالقاف والجيم في كلمة "قرقرة"، والخاء في "نضخ" (ابن منظور، لسان العرب، ص. ٤٤٩٠)، وهذا وعي مبكر بالدلالة الصوتية.

٣- **تصنيفه للأصوات:** كان الخليل على علم بالجهاز الصوتي وتركيبه وأجزائه، فاستطاع أن يحدد مخارج الأصوات (الفراهيدي، كتاب العين، ص. ٩)، وهذا التصنيف يمثل الأساس الفيزيولوجي للتنغيم.

وقد تحدث حلمي خليل عن "التفكير الصوتي عند الخليل" مبيناً أنه "أدرك أن للصوت وظيفة دلالية تتجاوز مجرد النطق" (خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص. ٤٥).

ثانياً: سيبويه (ت ١٨٠هـ)

سار سيبويه على نهج شيخه الخليل، وأضاف إليه دقة منهجية في وصف الظواهر الصوتية. ومن مظاهر عنايته بالظاهرة الصوتية:

١- **حديثه عن "الهمس والجهر":** أدرك سيبويه أن الأصوات تختلف في درجة الجهر، وهو ما يشبه في الدرس الحديث دراسة "النبر" و"التنغيم" فقد قسم الحروف إلى مهموسة ومجهورة، وهو تصنيف يرتبط بدرجة توتر الأوتار الصوتية (سيبويه، الكتاب، ج٤، ص. ٣٢٣).

٢- **حديثه عن "الإدغام":** خصص سيبويه باباً للإدغام، وهو ظاهرة صوتية تؤدي وظيفة إيقاعية في الكلام. والإدغام يؤثر في جرس الكلمة وإيقاعها، وهو ما يشبه في الدرس الحديث ما يُعرف بـ "التنغيم الإيقاعي" (سيبويه، الكتاب، ج٤، ص. ٣٢٣).

٣- **حديثه عن "الألف الممالة"**:أشار سيبويه إلى "الألف التي تُمال إمالة شديدة"، وهي ظاهرة صوتية تؤثر في درجة الصوت (Pitch)، وتقترب من مفهوم التنغيم (سيبويه، الكتاب، ج٤، ص. ٣٢٣).

٤- **حديثه عن "الوقف والوصل"**: تناول سيبويه الوقف والوصل في كتابه، وهما ظاهرتان صوتيتان تؤثران في إيقاع الكلام وتوجيه المعنى، حيث ذكر أن "الوقف يقطع الصوت وقتاً للاستراحة ثم يستأنف" (سيبويه، الكتاب، ج٤، ص. ٣٢٣).

وقد تحدث صاحلة راشد آل غنيم عن "اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وبنية" مبيناً أن سيبويه "كان أكثر دقة في نهجه الصوتي" (آل غنيم، اللهجات في الكتاب لسيبويه، ص. ٤٥).

ثالثاً: ابن جني (ت ٣٩٢هـ)

يُعد ابن جني أكثر القدامى إدراكاً للظاهرة التنغيمية؛ إذ وظّف التنغيم في تصنيفه للإشارات الانفعالية التعبيرية، ومن مظاهر ذلك:

١- **تصنيفه للإشارات الانفعالية**: قسّم ابن جني الإشارات التعبيرية إلى أنواع، منها ما يعبر عن الخوف، والحزن، والفرح، والدهشة، والتعجب، والتعظيم، والحسرة (البابيي، التنغيم عند ابن جني، ص. ٣)، وهذه الإشارات لا تتحقق إلا من خلال النغمة الصوتية المصاحبة للكلام.

٢- **إدراكه للوظيفة التعبيرية للصوت**: أدرك ابن جني أن الصوت لا يؤدي وظيفة إخبارية فقط، انما يؤدي وظيفة تعبيرية أيضاً، فالجملة الواحدة قد يتغير معناها بتغير النغمة المصاحبة لها، وهذا هو جوهر "التنغيم" في الدرس الحديث (البابيي، التنغيم عند ابن جني، ص. ٣).

٣- **حديثه عن "إمساس الأصوات بالأصوات"**: تحدث ابن جني عن ظاهرة "إمساس الأصوات بالأصوات"، وهي أن يكون بين اللفظ ومعناه مناسبة صوتية، وهذا ما يعرف في الدرس الحديث بـ "الدلالة الصوتية" أو "الرمزية الصوتية" (ابن جني، الخصائص، ج٢، ص. ٤٥).

٤- **حديثه عن "الأصوات التي تشبه الأصوات"**: قال ابن جني: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها" مبيناً أن السياق الصوتي يكشف عن المعنى (ابن جني، الخصائص، ج٢، ص. ٤٥).

وقد أشار أحمد البابيي في دراسته "التنغيم عند ابن جني" إلى أن ابن جني "يشف عن عمق التصوير للتنغيم واستبطانه لأثره في تشكيل الخطاب وإدراكه للوظيفة التعبيرية" (البابيي، التنغيم عند ابن جني، ص. ٣).

رابعاً: الفارابي (ت ٣٣٩هـ)

يُعد الفارابي من أوائل من تحدثوا عن العلاقة بين النغم وانفعالات النفس، حيث أدرك أن للنغم وظيفة تعبيرية دلالية، فقال: "ومن فصول النغم الفصول التي تسير بها دالة على انفعالات النفس، والانفعالات عوارض النفس مثل الرحمة والقسوة والحزن والخوف والطرب والغضب واللذة والأذى وأشباه هذه" (الفارابي، الموسيقى الكبير، ص. ١٠٧٥).

وهذا القول يمثل أصلاً مبكراً لفهم التنغيم بوصفه أداة تعبيرية عن الحالات النفسية، وهو ما أكده الدرس الصوتي الحديث.

وقد أشار الصفدي في "رسالة في علم الموسيقا" إلى أن الفارابي "ربط بين النغم وانفعالات النفس" (الصفدي، رسالة في علم الموسيقا، ص. ١٠٧٥).

خامساً: أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ)

يُعد أبو حاتم الرازي من أوائل من تحدثوا عن العلاقة بين مدّ الصوت والمعنى، فقد قال في تحليله لكلمة "آمين": "قال قومٌ من أهل اللُّغَة هو مقصور، وإنما أدخلوا فيه المدّة بدلاً من ياء النداء كأنهم أرادوا (يامين)... فأمَّا الذين قالوا مطوَّلة فكأنه معنى النداء" (الرازي، الزينة، ص. ١٢١).

ويرى أبو حاتم أن "تطويل الصوت – أي مدَّته – يدلُّ على معنى النداء وعلى معنى الشكاية، فربط مدَّ الصوت بالمعنى. وهذا أمر لا يمكن إدراكه إلا بالكلام المنطوق" (الرازي، الزينة، ص. ١٢١).

سادساً: الزركشي (ت ٧٩٤هـ)

تحدث الزركشي في كتابه "البرهان" عن وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن، وذكر أنها تأتي على نحو من أربعين وجهاً، وقد أدرك أن "للقرآن أغراضاً منها: الإعلام، والتنبيه، والوعد، والنهي، ووصف الجنة والنار، والرد على الملحدين والكافرين... وليس طبيعياً ولا سديداً أن تقرأ موضوعات هذه الأغراض كلها بتنغيم واحد" (الزركشي، البرهان، ج١، ص. ٤٥) ، وهذا القول يمثل وعياً مبكراً بأن التنغيم يتنوع بتنوع المقامات والأغراض.

أثر الوقف في الدلالة:

يؤثر الوقف في الدلالة تأثيراً واضحاً؛ فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ (النساء: ٤٣)، الوقف على "الصلَاةَ" يجعل النهي عن قربان الصلاة حال السكر، أما الوصل فيغير المعنى، وهذا يدل على أن الوقف قرينة صوتية موجهة للدلالة (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص. ٤٥).

أثر الابتداء في الدلالة:

كما يؤثر الابتداء في الدلالة؛ إذ إن اختيار الكلمة التي يُبتدأ بها بعد الوقف يؤثر في المعنى، وقد أشار السيوطي إلى أن "الابتداء لا يكون إلا بكلام تام" (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص. ٤٥).

الفواصل الصوتية:

الفواصل الصوتية في القرآن لها دور مهم في تنظيم الآيات وترابط معانيها، حيث أشار السيوطي إلى أن "الفاصلة في القرآن تختلف عن رؤوس الآي"، وأن الفاصلة هي "الكلام المنفصل عما بعده" (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص. ٤٥).

مظاهر التنغيم عند السيد قطب:

التنغيم الاستفهامي:

غرض الاستفهام هنا يرتبط بمتلازمات صوتية خاصة تميز غرض الاستفهام من غيره من أغراض الجمل الأخرى، فنأخذ مثلا جملة (أحضر الغائب)؟ هي جملة تفيد الاستفهام وتكون النغمة في بداية الجملة نغمة مرتفعة في المقطع الصوتي الأول للجملة في كلمة (أحضر) ثم يبدأ في الانخفاض قليلا ليعاود بذلك الرجوع بالنغمة إلى الصعود في المقطع الأخير من الجملة في كلمة (الغائب). (زاهية، ٢٠١٨، ص.١٩)

ونفهم من خلال ذلك أن التنغيم الاستفهام يبدأ مرتفعاً جداً ثم يضعف ليعود إلى الارتفاع مرة أخرى من غير أن يصل لقيمته الأولى.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} سورة البقرة (٢٤٣)

اوضح السيد قطب في هذه الآية الكريمة دور كلمتي (ألم تر) في رسم استعراضاً خاصاً لكلمة (ألوف) من خلال نغم صوتي في اداة الاستفهام الذي تشكلت منه الوظيفة الاستعمالية في هذا النص حدد مشاهد تلك الألوف المؤلفة وهي الحذرة من الموت فلولا هذا الاستفهام لما استطعنا أن نفهم الايحاءات الايمانية والتربوية في الآية الكريمة. (سيد قطب، ١٩٧٢،ج١، ص. ٢٦٥)

فالغرض الاستفهامي كان جاهزاً في بيان المخيلة من هذا الاستعراض المفعم بالبيان.

قوله تعالى: **{هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا}** سورة الأنسان:١

ذكر سيد قطب الاستفهام هو للتقرير؛ ولكن وروده في هذه الصيغة كأنما ليسأل الإنسان نفسه ألا يعرف أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟ وجعلته شيئا مذكورا بعد أن لم يكن شيئا مذكورا إنها إيحاءات كثيرة تنبض من وراء صيغة الاستفهام في هذا المقام وهي إيحاءات رفيقة وعميقة تثير في النفس تأملات شتى واحدة منها تتجه بالنفس إلى ما قبل خلق الإنسان ووجوده ...وواحدة منها تتجه إلى اللحظة التي انبثق فيها هذا الوجود الإنساني...وواحدة منها تتجه إلى تأمل يد القدرة وهي تدفع بهذا الكائن الجديد على مسرح الوجود. (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج٦، ص. ٣٧٧٩).

بين قطب في تفسيره للآية الكريمة الاستفهام ونبرته التدريجية من خلال استفهام يعزوه تساؤل بنغمة الهدوء والثبات لبيان مرحلة العدم إلى مرحلة الوجود وهذا ما يفهم من تحليله للنص فقد توالت النغمات التفسيرية الاستفهامية بمعرفة الدهر، والتدبر بحقيقة الاشياء، التدبر بالنفس وبعدها بين سيد قطب بيان ذلك السؤال بـ **{هل أَتَىٰ }** نبرة استفهامية من خلال ذكره لمجموعة من التأملات منها النفس وحيثيات وجودها، ومرحلة الوجود، ومرحلة التأمل في قدرة الله تعالى، فجميعها تتناغم مع نبرات تجعل من السامع أكثر انتباهاً وهذا ما لمسه كثير من القراء والباحثين عند وقوفهم على تفسير ظلال القرآن لما يمتاز من نسق صوتي جاذب وهادف بنفس الوقت (سيد قطب، ج٦،ص. ٣٧٧٩)

قوله تعالى: {أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها} سورة النازعات: ٢٧

اوضح سيد قطب الاستفهام الوارد في تفسيره لهذه الآية، وظف الاستفهام بنغمة تصاعدية لتنشر في فضاء تفسيره بجملة من الآثار وجدانية، والتركيز الدلالة على قدرة الله وعظمته التي يريد من خلالها استمالة القارئ إلى دلالة الآية واخباره بأمر يجهله وهذا ما نجده في تفسيره للآية " **أأنتم أشد خلقا**" فقد استعمل جانب ايحاء السؤال ...، وجانب آخر توضيح لذلك السؤال لكلمة السماء كونها أشد خلقاً بلا مراء، وهذا يعد من جماليات التفسير التي اوضح بها دلالة الآية من خلال بنبرة تصاعدية تهدف إلى ايقاف كبرياء الأنسان أمام عظمة السماء بوجودها اللامتناهي بنغم متناسق ركز على اجابة واحدة وهوبـ (التسليم الذي لا يقبل الجدل) (سيد قطب، ٢٠٠٤م،ج٦، ص. ٣٨١٦).

فكلمة (أأنتم) المتضمنة للاستفهام ما هو إلا خطاب للنفس الانسانية التي يسعها من خلالها إلى تحريك فطرية الانسان للإجابة التي لا تقبل الشك.

التنغيم الوقفي والوصولي:

الفواصل الصوتية: هي التي لها دوراً مهماً في تنظيم آياته وترابط معانيها واتساقها الفاصلة التي نعنيها هنا ليست الفاصلة القرآنية المعروفة، أي: نهاية الآية، وإنما هي الفاصلة الصوتية المتأتية من الوقف الذي يحسن السكوت به ويحسن الابتداء بما بعده، علماً أن السيوطي ينقل عن الداني أن الفاصلة في القرآن أيضاً تختلف عن رؤوس الآي، فربما كانت الفاصلة رأس آية أو لا تكون، فالفاصلة عنده: هي الكلام المنفصل عما بعده (خلف، ٢٠٠٨، ص.٦٣).

الفاصلة الصوتية: هي فاصلة بانعدام الصوت مدة يسيرة من الزمن لفصل نهاية العبارة الأولى عن بداية الثانية لغايات تتعدد، وإن هذه الفاصلة قد لا يمكن تميزها إلا عند القراءة، وأما في الخط فربما ميزها الخط أو لا. (خلف، ٢٠٠٨، ص.٦٣).

الوقفات: وتسمى الفواصل: "وهي نوع من السكون يفصل بين مجموعة صوتية وأخرى، ويدعى عند آخرين مفصلاً، وقد يفصل بين صوت وآخر، أو بين كلمة وأخرى، أو بين عبارة وأخرى في الجملة الواحدة، والفاصل فونيم له تأثير في المعنى" (محمد، ٢٠١٣، ص. ١٩٨).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغشى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ سورة الليل: ١-٤

اشارة سيد قطب إلى الفاصلة بلطافة تفسيرية أوضحها ببيان دلالتها إذ قال والليل والنهار ظاهرتان شاملتان لهما دلالة توحيان بها إيحاء للقلب البشري؛ ولهما دلالة أخرى عند التدبر والتفكر فيهما وفيما وراءهما، والنفس تتأثر تأثرا تلقائيا بتقلب الليل والنهار، الليل إذا يغشى ويعم، والنهار إذا تجلى وأسفر، ولهذا التقلب حديث وإيحاء، حديث عن هذا الكون المجهول الأسرار، وعن هذه الظواهر التي لا يملك البشر من أمرها شيئا، ودلالتهما عند التدبر والتفكر قاطعة في أن هنالك يدا أخرى تدير هذا الفلك ، وتبدل الليل والنهار بهذا الانتظام وهذا الاطراد وهذه الدقة ، وأن الذي يدير الفلك هكذا يدير حياة البشر أيضا. (سيد قطب ، ٢٠٠٤، ج٦، ص. ٣٩٢١

قوله تعالى: ﴿القارعة (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦)﴾ (سورة القارعة: ١-٦).

فقد ذكر السيد قطب التمايز بين الآيات في هذه السورة حيث تتبدل أقدار الناس، وأوضاع الأرض في ظل الهول الذي يبدل الأرض غير الأرض، وهذا الأسلوب الخاص يتناسب مع الصورة المروعة المفزعة التي يرسمها هذا المطلع بذاته، فالواقعة بمعناها وجرس اللفظ ذاته بما فيه من مد ثم سكون تلقي في الحس كأنما هي ثقل ضخم (سيد قطب،٢٠٠٤، ج٦، ص ص. ٣٤٦١-٣٤٦٢) .

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)﴾ (سورة التكوير: ١-٥)

قال: قطب في هذه السورة لقد استشفه الايقاع العام أشبه بحركة جائحة تنطلق من عقالها، فتقلب كل شيء، وتنثر كل شيء؛ وتهيج الساكن وتروع الآمن؛ فالسورة بإيقاعها العام تخلع النفس من كل ما تطمئن إليه وتركن، لتلوذ بكنف الله، وتأوي إلى حماه، وتطلب عنده الأمن والطمأنينة والقرار. كما فيها ثروة ضخمة من المشاهد الرائعة، سواء في هذا الكون الرائع الذي نراه، أو في ذلك اليوم الآخر الذي ينقلب فيه الكون بكل ما نعهده فيه من أوضاع وثروة كذلك من التعبيرات الأنيقة! المنتقاة لتلوين المشاهد والإيقاعات، وتلتقي هذه وتلك في حيز السورة الضيق، فتضغط على الحس وتنفذ إليه في قوة وإيحاء (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج٦، ص ص. ٣٨٣٦- ٣٨٣٧) .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (١) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (٢) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (٥)... ﴾ سورة العاديات: ١-٥

ففي هذه السورة بين سيد قطب في تفسيره ووقف على بيان الايقاع الموسيقي في الآيات وهذه ما نلمسه في كلامه إذ قال: " يجري سياق هذه السورة في لمسات سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزا وركضا ووثبا، في خفة وسرعة وانطلاق، حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع". (سيد قطب ،٢٠٠٤، ج٦، ص. ٣٩٥٧)

من خلال ذلك بين في تفسير آياته الايقاعات الموسيقية التي بدورها تحدث للمتلقي نوعا من الشغف مراد المولى سبحانه وتعالى، والإيقاع الموسيقي فيه خشونة ودمدمة وفرقعة، تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بشدة وقوة، كما تناسب جو الجحود والكنود، والأثرة والشح الشديد.. فلما أراد لهذا كله إطارا مناسبا، اختاره من الجو الصاخب المعفر كذلك، تثيره الخيل العادية في جريها، الصاخبة بأصواتها، القادحة بحوافرها، المغيرة فجاءة مع الصباح، المثيرة للنقع والغبار، الداخلة في وسط العدو على غير انتظار ... فكان الإطار من الصورة والصورة من الإطار (سيد قطب،٢٠٠٤، ج٦، ص. ٣٩٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ (١) وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ (٥) ...﴾ سورة الضحى: ١-٥

يرى سيد قطب في هذه السورة أن الفواصل القصيرة المتتابعة بين الآية وهي تحدث إيقاعا فيه لمسه، ونسمة من رحمة، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل، وتسكب اليقين وهذه كلها تمنح للمعنى اطمئنانيه وتثبيتاً للنفس (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج٦، ص. ٣٩٢٥).

التنغيم التصويري:

قبل الدخول في تطبيقات التنغيم التصويري، لا بد من تأصيل هذا المصطلح علمياً، فالتنغيم في الدرس الصوتي الحديث يُعنى بتغير درجة الصوت أثناء النطق، وقد عرّفه اللسانيون المحدثون بأنه: ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام (حسان، ١٩٩٠، ص. ١٩٠)، أما التصوير الفني فهو ظاهرة بلاغية بيانية تُعنى بإظهار المعنى في صورة محسوسة.

حيث وسّع البحث مفهوم التنغيم ليشمل "التنغيم التصويري"، والمقصود به، ذلك الإيقاع الصوتي المصاحب للصورة الفنية في النص القرآني، والذي يُضفي على المعنى بعداً محسوساً، وهو وإن كان في أصله ظاهرة بلاغية، إلا أنه لا ينفصل عن التنغيم الصوتي؛ لأن الصورة الفنية في القرآن لا تتحقق إلا من خلال جرس الألفاظ وإيقاعها.

ومن ثم فإن "التنغيم التصويري" ليس نوعاً مستقلاً من أنواع التنغيم الصوتي، نما هو مظهر من مظاهر الإيقاع الصوتي المصاحب للتصوير، حيث اعتمد البحث هذا التوسع مراعاةً لطبيعة المادة المدروسة في تفسير الظلال، إذ إن سيد قطب لا يفصل بين النغمة المفردة والإيقاع العام، انما تعامل معهما كظاهرة صوتية واحدة تؤدي وظيفة دلالية.

قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ سورة إبراهيم: ١٨.

من حيث المستوى الصوتي: يُلاحظ في الآية جرس صوتي خاص؛ فكلمة "رَمَادٍ" فيها مدّ يعقبه سكون، وكلمة "اشْتَدَّتْ" فيها تشديد يُحدث نبراً قوياً، وكلمة "عَاصِفٍ" فيها مدّ بالألف يعقبه كسر، وهذا التتابع الصوتي يُحدث إيقاعاً متقطعاً (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج٤، ص.٢٠٩٥).

اما من حيث المستوى الدلالي: فإن هذا الجرس الصوتي يحاكي دلالة التطاير والتشتت؛ فالرماد خفيف، والريح شديدة، والمدّ يمثل امتداد الحركة، والسكون يمثل التلاشي، وقد وظّف سيد قطب هذا الإيقاع في بيان ضياع أعمال الكافرين.

ومن حيث المستوى النفسي والجمالي: فإن هذا الإيقاع يُحدث في النفس إحساساً بالضياع والتفاهة؛ إذ يقول سيد قطب: "ذلك هو الضلال البعيد... تعقيب يتفق ظله مع ظل الرماد المتطاير في يوم عاصف إلى بعيد" (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج٤، ص. ٢٠٩٥).

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ (سورة آل عمران: ١١٧)

من حيث المستوى الصوتي: تُلاحظ في الآية كلمة "صِرٌّ" وفيها تشديد الراء مع تنوين الضم، مما يُحدث جرساً قوياً كأنه قذيفة.

ومن حيث المستوى الدلالي: فإن هذا الجرس يحاكي دلالة الهلاك المفاجئ؛ فالصرّ هو البرد الشديد الذي يهلك الزرع.

ومن حيث المستوى النفسي والجمالي: يقول سيد قطب: "كلمة صر ذاتها كأنها قذيفة ترمى بعنف، فيصور معناها بجرسها الصوتي وإيقاعها القوي" (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج١، ص. ٤١٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٦)

من حيث المستوى الصوتي: تُلاحظ في كلمة "إِعْصَارٌ" كسر في أولها، ثم سكون، ثم مدّ بالألف، ثم تنوين، وهذا التتابع الصوتي يُحدث اضطراباً في النطق.

ومن حيث المستوى الدلالي: فإن هذا الاضطراب الصوتي يحاكي دلالة الإعصار؛ فهو حركة عنيفة مضطربة.

ومن حيث المستوى النفسي والجمالي: يقول سيد قطب: "كلمة إعصار بإيحائها الشعوري الرعيب، فجرسها الصوتي يوحي بالاضطراب والحركة العنيفة" (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج١، ص. ٣٠٣).

النتائج:

١- كشف الاستقراء أن سيد قطب كان أكثر عناية بـ التنغيم الوقفي والوصولي (الفواصل الصوتية)، يليه التنغيم الاستفهامي، ثم التنغيم التصويري. وهذا الترتيب يعكس إدراك سيد قطب أن الفاصلة الصوتية هي الأداة الأولى لتوجيه الدلالة في النص القرآني.

٢- طبيعة العلاقة بين الإيقاع والدلالة عند سيد قطب، ثلاثة مبادئ: مبدأ التوافق: الإيقاع يتوافق مع دلالة الآية (الثقيل للتهويل، السريع للتهديد)، مبدأ التكامل: لا يفصل بين الإيقاع والمعنى، انما يجمعهما في نسيج واحد، مبدأ التأثير: الإيقاع يؤدي وظيفة تأثيرية في المتلقي تتجاوز الوظيفة الإخبارية.

٣- وظّف سيد قطب النغمة الصاعدة لأداة الاستفهام في: توجيه المعنى نحو التقرير أو التعظيم (كما في ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ﴾)، إحداث التأملات في النفس (كما في ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾)، استدراج القارئ إلى الإجابة التي لا تقبل الجدل.

٤- استعمل سيد قطب الفاصلة القرآنية لتحقيق ثلاثة أغراض: تنظيم الإيقاع وترابط المعاني، إحداث التأثير في النفس (كما في سورة الضحى)، تجسيد المعنى وجعله محسوساً (كما في سورة القارعة).

٥- كشف البحث عن أن تفسير الظلال يتأثر بـ النظرية الفنية التي تبناها سيد قطب في "التصوير الفني في القرآن"، ويتجلى ذلك في: اعتماد التصوير أداةً للتفسير، والجمع بين الصوت والصورة في نسيج واحد، وتوظيف الإيقاع لخدمة الوجدان الأدبي.

٦- يثبت البحث أن التنغيم في النص القرآني لا ينفصل عن علوم القرآن الأخرى: مع التفسير: أشار المفسرون إلى الظواهر الصوتية، مع الوقف والابتداء: الوقف فاصلة صوتية توجه الدلالة، مع القراءات: اختلاف القراءات يؤدي إلى اختلاف في الأداء والدلالة.

· مع التجويد: أحكام التجويد تؤثر في الأداء والدلالة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (٢٠٠١). الخصائص. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٨٢). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو هاشم، هدى. (٢٠/٧/٢٠٢٣م). كتب سيد قطب. اسلام فقهاء وائمة.

أنيس، إبراهيم. (١٩٧٦م). دلالة الألفاظ. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، إبراهيم .(د.ت) *الأصوات اللغوية ، مدرس بكلية دار العلوم.* مصر: مكتبة النهضة.

أنيس، ابراهيم. (١٩٥٢م). موسيقى الشعر، ١٦٩ شارع محمد بيك فريد: مكتبة انجلو المصرية.

البابيي، أحمد. (الحادي عشر الرابع، ٢٠٠٣م). التنغيم عند ابن جني. مجلة افاق الثقافة والتراث، العدد ٤١، صفحة ١٢.

بشر، كمال. (٢٠٠٠). علم الأصوات. القاهرة: دار غريب.

بشر، كمال. (٢٠٠٠م). علم الأصوات. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

البياتي، سناء حميد. (٢٠٠٧). التنغيم في القرآن الكريم: دراسة صوتية. بغداد: مركز إحياء التراث العلمي العربي.

البياتي، سناء حميد. (٢٠٠٧م). التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية. جامعة بغداد: مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة كامبرج، مركز الدراسات الاسلامية والشرق أوسطية، استاذ زائر. ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ماريوباي. (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م). اسس علم اللغة. عالم الكتب.

جمعة، علياء بشار(٢٠٢٤م)، أثر القرينة الصوتية في النحو العربي –شرح الرضي على الكافية أنموذجاً، الكلية التربوية المفتوحة مركز واسط، مجلة واسط للعلوم الانسانية، جامعة واسط، مجلد ٢٠، العدد١، https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss56.517

حسان، تمام. (١٩٩٠م). مناهج البحث في اللغة. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

حسان، تمام. (١٩٩٤م). اللغة العربية معناها ومبناها. المغرب: دار الثقافة– دار البيضاء

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (١٩٩٤م– ١٤١٤هـ). سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد. دمشق، بيروت، الطبعة الثانية: دار القلم، الدار الشامية.

د. نافذ الشاعر. (د.ت). حياة سيد قطب رواية.

الرازي، أبو حاتم. (د.ت). الزينة. تحقيق: حسين بن فيض الله الهمذاني.

الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٥٣م). تاريخ آداب العرب. القاهرة: مطبعة الاستقامة، ط٣.

زاهية، سلاوي، لوناس إيمان. (٢٠١٨م). التنغيم وآثره في المعنى اللغوي سورة مريم أنموذجا. الجزائر: جامعة البويره.

الزركشي، بدر الدين. (د.ت). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار المعرفة.

السعران، محمود. (١٩٩٧). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. القاهرة: دار الفكر العربي.

السعران، محمود. (١٩٩٧م). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. القاهرة، ط٢: دار الفكر العربي.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. (١٩٨٢). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

سيبويه، ابي بشر عمرو بن عثمان بن قمبر. (د.ت). كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. لبنان: بيروت.

الصغير، محمد حسين علي. (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م). الصوت اللغوي في القرآن، استاذ الدراسات القرنية في جامعة الكوفة. بيروت- لبنان: دار المؤرخ العربي.

عز الدين، حسن البنا والترج اونج. (١٩٩٠م). الشفاهية والكتابية. الكويت: عالم المعرفة.

علاوي، خلف صباح. (٤ شباط، ٢٠٠٨م). الفاصلة الصوتية وأثرها في الجملة العربية. كلية التربية/ سامراء، المجلد ٤، العدد ٩، صفحة ٦٣.

علوان، محمد عبد علي. (٢٠٢٦م). التنغيم وسلطة المعنى نحو فهم تداولي للقوة الانجازية للأفعال الكلامية كتاب الامام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر مثالاً مجلة لارك/ كلية الآداب / جامعة واسط/ صفحة ٣٩٦. https://doi.org/10.31185/lark.5088

عمر، أحمد مختار. (١٩٩٧م). دراسة الصوت اللغوي، استاذ علم اللغة، كلية العلوم. القاهرة: عالم الكتب.

عوض، فريد حيدر. (٢٠٠٥م). علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.

الفارابي، أبو نصر. (د.ت). الموسيقى الكبير. تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة. القاهرة: دار الكاتب العربي.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. (د.ت)، كتاب العين / البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (٢٠٠٩م). معجم القاموس المحيط. بيروت- لبنان: دار المعرفة.

قطب، سيد (١٩٧٢م)، في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق، تحقيق عبد الله علي الكبير.

قطب، سيد (٢٠٠٤م). التصوير الفني في القرآن الكريم. القاهرة: دار الشروق.

ليلى سهل، (٢٠١٠م). التنغيم وآثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق. الجزائر: مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد السابع.

محمد، عاطف فضل، (٢٠١٣م)، الأصوات اللغوية، عمان، ط١: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

Sources and References:

The Holy Quran

Ibn Manzur, (n.d.). Lisan al-Arab. Egypt-Cairo: Dar al-Ma'arif.

Abu Hashim, Huda. (July 20, 2023). The Books of Sayyid Qutb: Islam of Jurists and Imams.

Anis, Ibrahim. (1976). The Significance of Words. Cairo: Anglo-Egyptian Library.

Anis, Ibrahim. (n.d.). Linguistic Sounds. Lecturer at the Faculty of Dar al-Ulum. Egypt: Al-Nahda Library.

Anis, Ibrahim. (1952). The Music of Poetry. 169 Muhammad Bey Farid Street: Anglo-Egyptian Library.

Al-Baybi, Ahmad. (11th ed., 2003). Intonation According to Ibn Jinni. Afaq al-Thaqafa wa al-Turath Magazine, Issue 41, p. 12.

Bishr, Kamal. (2000). Phonetics. Cairo: Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution.

Al-Bayati, Sanaa Hamid. (2007). Intonation in the Holy Qur'an: A Phonetic Study. University of Baghdad: Center for the Revival of Arab Scientific Heritage, University of Cambridge, Center for Islamic and Middle Eastern Studies, Visiting Professor. Translated and annotated by: Ahmed Mukhtar Omar, Mariobay. (1419 AH - 1998 CE). Foundations of Linguistics. Alam al-Kutub.

Juma, Alia Bashar (2024). The Impact of Phonetic Evidence in Arabic Grammar – Al-Radi's Commentary on Al-Kafiya as a Model. Open Education College, Wasit Center, Wasit Journal of Humanities, University of Wasit, Volume 20, Issue 1, https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss56.517

Hassan, Tamam. (1990). Research Methods in Language. Egypt: Anglo-Egyptian Library.

Hassan, Tamam. (1994). The Arabic Language: Its Meaning and Structure. Morocco: Dar al-Thaqafa, Casablanca

Al-Khalid, Salah Abd al-Fattah. (1994 CE - 1414 AH). Sayyid Qutb: From Birth to Martyrdom. Damascus, Beirut, 2nd ed.: Dar al-Qalam, Dar al-Shamiyah.

Dr. Nafiz al-Sha'ir. (n.d.). The Life of Sayyid Qutb: A Novel.

Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq. (1953 CE). A History of Arabic Literature. Cairo: Al-Istiqamah Press, 3rd ed.

Zahia, Slawi, and Lounas Iman. (2018 CE). Intonation and its Effect on Linguistic Meaning: Surah Maryam as a Model. Algeria: University of Bouira.

Al-Sa'ran, Mahmoud. (1997 CE). Linguistics: An Introduction for the Arab Reader. Cairo, 2nd ed.: Dar al-Fikr al-Arabi.

Sibawayh, Abu Bishr Amr ibn Uthman ibn Qambar. (n.d.). Sibawayh's Book, edited and explained by Abd al-Salam Muhammad Harun. Lebanon: Beirut.

Al-Saghir, Muhammad Hussein Ali. (1420 AH - 2000 CE). The Linguistic Sound in the Qur'an. Professor of Qur'anic Studies, University of Kufa. Beirut, Lebanon: Dar Al-Mu'arrikh Al-Arabi.

Izz Al-Din, Hassan Al-Banna, and Al-Tarj Ong. (1990 CE). Orality and Literacy. Kuwait: Alam Al-Ma'rifah.

Alawi, Khalaf Sabah. (February 4, 2008 CE). The Phonetic Pause and Its Effect on the Arabic Sentence. College of Education/Samarra, Volume 4, Issue 9, p. 63.

Alwan, Muhammad Abdul Ali. (2026 CE). Intonation and the Authority of Meaning: Towards a Pragmatic Understanding of the Performative Power of Speech Acts. Imam Ali's (peace be upon him) Letter to Malik Al-Ashtar as an Example. Lark Journal/College of Arts/University of Wasit/p. 396. https://doi.org/10.31185/lark.5088

Omar, Ahmed Mukhtar. (1997 CE). A Study of the Linguistic Sound. Professor of Linguistics, College of Science. Cairo: Alam al-Kutub.

Awad, Farid Haidar. (2005). Semantics: A Theoretical and Applied Study. Al-Adab Library for Printing, Publishing, and Distribution.

Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim. (n.d.). Kitab al-Ayn / al-Basri (d. 170 AH). Edited by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim al-Samarrai. Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Yaqub. (2009). Al-Qamus al-Muhit Dictionary. Beirut, Lebanon: Dar al-Ma'rifah.

Qutb, Sayyid (1972). In the Shade of the Qur'an. Cairo: Dar al-Shuruq. Edited by Abdullah Ali al-Kabir.

Qutb, Sayyid (2004). Artistic Imagery in the Holy Qur'an. Cairo: Dar al-Shuruq.

Layla Sahl. (2010). Intonation and its Effect on the Difference of Meaning and Contextual Significance. Algeria: Journal of the Faculty of Arts, Humanities, and Social Sciences, Issue 7.

Muhammad, Atif Fadl, (2013), Linguistic Sounds, Amman, 1st ed.: Dar Al-Masirah for Publishing, Distribution and Printing.